

شائعات اعتقال باطرفي تجعل للفاشلين قيمة في منظومة القاعدة

تعقيدات اليمن وصراعات لاعبيه تعكس الدهاء في ساحة أشبه برقعة شطرنج



تنظيم القاعدة الذي يُعتبر اليمن أحد أهم معاقله، يعاني مشاكل تنظيمية وصراعات داخلية وأزمة قيادة تكشفت مجدداً مع الجدل المثار هذه الأيام حول إلقاء القبض على زعيم الفرع اليمني للتنظيم خالد باطرفي المرشح لقيادة التنظيم المركزي على سبيل الاضطرار بعد أن كان مرشحا للعزل بسبب فشله في قيادة التنظيم المحلي.

هشام النجار
كاتب مصري

تضاربت الأنباء بشأن اعتقال زعيم فرع تنظيم القاعدة في اليمن خالد باطرفي من عدمه، ويعد رواج أنباء استسلامه، ظهرت مؤشرات تثبت أنه لا يزال طليقا خلافاً لما ورد في تقرير للأمم المتحدة، صدر مطلع الأسبوع، وقيل فيه إن باطرفي اعتقل في أكتوبر الماضي. موقع "سايت" الأميركي المتخصص في رصد ومتابعة التنظيمات الجهادية بعد أن نشر نبأ القبض على باطرفي ومقتل نائبه سعد العولقي عقب عملية استمرت قرابة العشرين ساعة بمدينة الغيضة التابعة لمحافظة المهرة شرقي اليمن على الحدود مع عمان في أكتوبر الماضي، عاد مدعوماً بشهادة مسؤولين قبليين ليؤكد في صحة النبأ.

لا جدال في أن القبض على زعيم القاعدة باليمن خالد باطرفي المعروف بـ"أبوالمقداد الكندي" حيا هو ضربة غير مسبوقة، فاعتقال الرأس يحدث هنا للمرة الأولى في تاريخ الفرع اليمني، حيث قتل كافة الزعماء السابقين بغارات جوية، ابتداء من سالم سنان الحارثي عام 2002 إلى قاسم الرمي العام الماضي. تداول أخبار عن استسلام قائدهم وضع المسؤولين عن إعلام قاعة اليمن في حرج، وبعد أيام قليلة من الارتباك وعدم المقدرة على طرح دليل ينفي أو يثبت الخبر، نشرت مؤسسة "صدي الملاحم" الذراع الإعلامي للتنظيم، مساء الأربعاء، تسجيلاً مصوراً لباطرفي مدته 20 دقيقة بعنوان "أميركا والأخذ الأليم" يتحدث فيه عن اقتحام الكونغرس الأميركي الشهر الماضي، متوعداً السياسة الأميركية بان هذا الهجوم فضلاً عن أعداد وفيات فايروس كورونا الكبيرة ليسا سوى غيض من فيض والقادم أعظم.

تيار داخل التنظيم يرفض إسناده قيادته لأحد عناصره المقيمين في إيران لتجنب الاستقطابات التي أنتجت تنظيمها مفككا

قبل إثارة هذا الجدل بفترة قصيرة كانت هناك أنباء عن عزل باطرفي عن قيادة التنظيم نتيجة تفرغه لتحقيق مصالحه الشخصية، واتباعه سياسة تنفيذ الإعدامات في حق كل من يشك به بزريعة اتهامه بالجاسوسية والعمالة، لكنها لم تثر الضجة لأنها التي أعقبت تداول أنباء اعتقاله واستسلامه قبل نفيها.

وأعضاء القاعدة، حتى أولئك الذين يجهرون برفض نهجه وسياساته، عادوا سريعاً ومحموا الأسياسة المتعلقة باستسلامه من على حساباتهم، عندما صدمتهم أساليب أعضاء داعش في توظيف القضية من خلال تحويلها إلى أداة استقطاب لتنظيمهم الذي وصفوه بالمتماسك وغير المخترق على كل المستويات، وغير المنهار بفعل الانتشاقات الداخلية.

تنافس على خلافة الظواهري

تتبع أهمية وقيمة الجدل المثار بشأن إلقاء القبض على باطرفي من عدمه من كونه مرشحاً لقيادة التنظيم المركزي، حيث يصبح ساعتها عنواناً أكبر للفشل لدرجة تصل إلى مستوى الفضيحة غير المسبوقة، لكونه أول قيادي قاعدي بهذا المستوى يُلقى القبض عليه حيا ولا تكون نهايته القتل، وهي النهاية المعبرة عن "شرف وبسالة" القادة وفق ما يعتقدون. الإصدار المرئي الذي بثته مؤسسة صدي الملاحم نافية به نبأ القبض على قائد القاعدة باليمن متوعداً السياسة الأميركية، أكد دخول باطرفي سباق المرشحين لقيادة القاعدة المركزي خلفاً

رمز محلي لتنظيم شبه منهار داخل الساحة اليمنية

إذا كان باطرفي اجتهد طيلة عام في قتل كل من يشك في عمالته واشتغاله بالتجسس، فالنهدي الذي وصل إلى أعلى الرتب القيادية وهو أحد شرعيي التنظيم وكان أميراً للمكلا أثناء احتلالها من قبل القاعدة، من المفترض أن يكون قد حرق كل هذه الجهود التي تعد بلا طائل مع ما أدلى به من معلومات عن أدق أسرار التنظيم.

تعددت الروابط المحلية التي امتلكها باطرفي بفضل جذوره الحضرمية وزواجه بامرأة يمنية، إلا أنه فشل في تقديم نفسه كشريك لحركات المقاومة القبلية ضد الحوثيين، ما يعني الإخفاق في كسب البيئة الاجتماعية والسياسية المرشحة للتعاون مع التنظيم لتحقيق مصالح مشتركة.

تعين على قيادة القاعدة التواصل مع شبكات التجارة غير الشرعية للحصول على النقود المادي وجمع الأموال وضمان استمرار طويل الأمد للتنظيم، بينما دل واقع فرع القاعدة باليمن اليوم على عجز القيادة عن تدبير الحد المقبول من كسب البيئة الاجتماعية والسياسية التي تقنع عناصره بمواصلة ارتباطها به وولائها له.

لم تصل القناعات الأيديولوجية ونداءات الالتزام التنظيمي التي أطلقها باطرفي من خلال فيديواته دون اشتقاق المثات من قادة التنظيم وعناصره بحثاً عن الدعم المادي وسط ظروف حرب بالغة القسوة حتى ولو لدى أطراف تجمعها خصومة وعداوة مع القاعدة. لا تعني أنباء القبض على باطرفي إن قبضت صحتهما الكثير بالنسبة إلى مستقبل التنظيم باليمن على المستوى العملي والاستراتيجيات طويلة المدى، حيث لم يعد هناك تنظيم بالمعنى المتعارف عليه سواء حركياً وميدانياً أو وفق التراتبية الهرمية المتماثلة للتنظيمات الجهادية، لكنها أثارت الحمية العصبية لدى مؤيدي القاعدة خاصة بعد استغلال اتباع داعش للحدث الذي جعلوه مادة للسخرية والشماتة.

تأكل أدوار التنظيم الأم لأكثر من منظر يضح محتوى إعلامياً بشكل منتظم وهو ما اطلب عليه الظواهري خلال السنوات الأخيرة.

فشل محلي

برز خالد باطرفي كأحد تجليات التيه وفقدان البوصلة، نتيجة عدم مقدرة بعض أفرع القاعدة التي ضمنت استراتيجياتها وتكتيكاتها وفقاً للسياسات العالمية لاستهداف العدو البعيد على التحول للسياسات المحلية وتشبيك علاقات مع النخب والمكونات المجتمعية. لم ينجح الرجل في إعادة اكتشاف تنظيمه باليمن ومعاودة إلتجانه في خضم الصراعات متعددة الجوانب التي تدور رحاها على الساحة اليمنية. وبعد أن كان فرع اليمن هو أنشط وأقوى فروع القاعدة ويحظى بمقاتلوه باحترام حتى من خصومه لما يمتلكونه من خبرات والتزام تنظيمي، صار أثناء ولايته باطرفي أكثرها تمزقاً، حيث صبّ قائده جهده في ملاحقة وإعدام المنشقين عنه أو الهاربين منه إلى حضان القبيلة والمجتمع.

انتهج باطرفي أسلوباً حاداً ودموياً ضد كل من يعارضه داخل التنظيم متبعاً سياسة البتر في حق المشتبه في تورطهم في الجاسوسية والعمالة لجهات أمنية داخلية أو أجهزة استخبارات خارجية، وهو ما استفد طاقاته في معارك داخلية، فشل في إثبات كفاءته في القيادة بعد قائدتين كان لهما حضورهما وتأثيرهما الملحوظ وهما ناصر الوحيشي وقاسم الربيعي.

يوجد المثات من المنشقين والمفارقين لفرع التنظيم باليمن، ومنهم قادة ميدانيون وأسماء مناطق ومسؤولون عسكريون وأمنيون، أورد أسماء البعض منهم تنظيم داعش في اليمن في بيان بعنوان "الاعتزال الكبير" تناول الانتشاقات داخل القاعدة، وأبرزهم أبو عمر النهدي الذي مثل انسحابه وتوبته عن التطرف والفكر التكفيري ضربة قوية لتنظيم يعاني في الأصل من الإفلاس المادي والمعنوي والانتكشاف المخابراتي.

من يعارض قراراته، وهو ما دفع الكثيرين منهم إلى مغادرة التنظيم، في حين حرص على تسجيل دروس ومحاضرات تربوية عرضتها مؤسسة صدي الملاحم الذراع الإعلامي للقاعدة باليمن بعنوان "تأملات ودروس في تفسير سورتي النور والحجرات" و"أصول التعامل مع أهل البدع والمخالفين".

ما طرحه باطرفي في دروسه ومحاضراته المصورة لم يكن موجهاً في الأساس لعناصر القاعدة في الداخل اليمني؛ فنشاط التجسس والخبائث والانشاقات يتعامل معه بالقوة الحسية وسلاح الإعدامات الذي لا يتسق معه درس تربوي مستقى من تعاليم القرآن بسورة الحجرات.

أراد باطرفي من وراء الظهور الإعلامي المكثف الذي يجيده، حيث تتمحور مواهبه حول مقدراته على التنظيم أن يثبت جدارته بمرکز قائد القاعدة المركزي الذي لا يحتاج في ظل

انحصر التنافس على خلافة الظواهري على رأس تنظيم القاعدة، بين سيف العدل الموصوف بالتكبر والاستعلاء والاستبداد بالرأي والقسوة الشديدة في حق المخالفين، وباطرفي الذي لجأ للقتل وإعدام كل من خالفة بتهمة التجسس مخلفاً أكثر تجارب قيادات القاعدة فشلاً في ساحة مهيسة لنموه وتطوره وليس العكس، خاصة مع النشاط الحوئي الذي اعتمد منذ البداية على تضخيم الوجود الإرهابي الذي يزعم مناهضته، ومع المظالم القبلية التي يرتكبتها الحوثيون والتي من المفترض أن تستفيد منها القاعدة.

يواجه كل من باطرفي وسيف العدل رفضاً واسعاً داخل القاعدة وفق مضمون النقاشات بين عناصره على حساباتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، ما يجعل العنوان الرئيسي لأزمة القاعدة اليوم هو الافتقار للقادة، بعد أن حصدت غالبيتهم الطائرات المسيرة الأميركية، مقابل انسحاب عدد غير قليل منهم إما باتجاه الانتشاقات لتنظيمات أخرى، خاصة تنظيم داعش، أو إلى خارج الحالة الجهادية. وأبدى البعض اندهاشه من تصرف عد تناقضا وقع فيه باطرفي؛ حيث ظهر طوال الوقت بشكل صارخ حريصاً فقط على تحقيق مصالحه الشخصية متدماً من أي نقد لا يتورع عن قتل كل

من الاستقطابات الدولية التي أنتجت تنظيمها مفككا فاقد لهويته، ويعاني من صراعات داخلية بين أجنحة منفصلة عن المركز وأخرى ملاحقة ومطاردة تواجه التحدي في الإبقاء على الحد الأدنى من تماسك التنظيم المركزي، مع استمرارية نهجه القديم المرتبط بالجهاد العالمي. انطوى تنافس باطرفي على قيادة القاعدة المركزي خلفاً للظواهري على عصب مستحکم في عجلة قيادة القاعدة، وعجز واضح عن الدفع بشخصية قيادية مؤهلة لإصلاح ما أفسده الظواهري، ومنح الثقة مجدداً للتنظيم داخل الأوساط الجهادية، لأن باطرفي لم يقدم أثناء عام توليه فرع اليمن ما يشجع على الدفع به قائداً للتنظيم الأم، بالنظر للأعداد الكبيرة التي انشقت خلال عام توليه القيادة متجهة إلى داعش والأخرى التي فارقت الحالة الجهادية برمتها معلنة توبتها وانخراطها في المجتمع والقبيلة.

انحصر التنافس على خلافة الظواهري على رأس تنظيم القاعدة، بين سيف العدل الموصوف بالتكبر والاستعلاء والاستبداد بالرأي والقسوة الشديدة في حق المخالفين، وباطرفي الذي لجأ للقتل وإعدام كل من خالفة بتهمة التجسس مخلفاً أكثر تجارب قيادات القاعدة فشلاً في ساحة مهيسة لنموه وتطوره وليس العكس، خاصة مع النشاط الحوئي الذي اعتمد منذ البداية على تضخيم الوجود الإرهابي الذي يزعم مناهضته، ومع المظالم القبلية التي يرتكبتها الحوثيون والتي من المفترض أن تستفيد منها القاعدة.

يعد باطرفي دون الارتباط بالمسارات "الجهادية" خارج الحدود اليمنية شاملة نشاطات القاعدة في العديد من دول العالم، فاقدا التأثير ويعاني من أزمة مستعصية على رأس جماعة شبه منهارة داخل الساحة اليمنية، ولا جديد سيضيفه إذا جرى اعتقاله واستسلامه قبل نفيها. المحلى بعد أن بات مكشوقاً للأجهزة الأمنية بفضل القدر الهائل من المعلومات التي سرّبها المثات ممن انشقوا عنه، أو يتعاونون مع الأجهزة ولا يزالون منضوين داخله. يعكس فشل باطرفي التفاوت الكبير بين الكفاءات التي يتمتع بها القاعدة، ويثبت من جهة أخرى الفقر الشديد الذي يعاني منه تنظيم القاعدة على مستوى القيادات، فاللجوء لتسميته قائداً لفرع القاعدة في جزيرة العرب اضطرارا نتيجة فراغ الساحة، صاحبه اضطراب لترشيحه لخلافة أيمن الظواهري على رأس التنظيم المركزي، كمنافس للقيادي المصري سيف العدل المعروف بـ"محمد صلاح الدين زيدان"، والمقيم بإيران. يمثل الصعود على رأس القاعدة المركزي فرصة ثمينة لباطرفي للهروب من فشله وعجزه في اليمن، خلفاً بقايا تنظيم منهار، مستغلا عجز سيف العدل ووضع الضحية المتدهور ووجود معارضة أقوى ضده داخل التنظيم تعارض تولية أحد نشطاء الفرع المصري بعد الكوارث التي لحقتا أيمن الظواهري بالقاعدة.

يرفض قطاع داخل القاعدة تولية أحد القيادات المقيمة في إيران بغرض التحرر